

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِكُلِّ مُنْتَصِرٍ حَزِينُ

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِكُلِّ مُنْتَصِرٍ حَزِينُ

قُتِلَ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ،

إِذَا كَانَ يَحْمِي الْآخِرِينَ

يَحْمِي بِشَبْرٍ تَحْتَ رِجْلَيْهِ اتِّزَانَ الْعَقْلِ  
مَعْنَى الْعَدْلِ فِي الدُّنْيَا عَلَى إِطْلَاقِهِ  
يَحْمِي الْبِرَايَا أَجْمَعِينَ

حَتَّى مَمَالِيكَ الْبِلَادِ الْقَاعِدِينَ

وَالْحَرْبُ وَاعْظَةُ تُنَادِينَا

لَقَدْ سَلِمَ الْمُقَاتِلُ

وَالَّذِينَ بِدُورِهِمْ قُتِلُوا

نَعَمْ هَذَا قِضَاءُ اللَّهِ لَكُنْ

رُبَّمَا سَلِمُوا إِذَا كَانَ الْجَمِيعُ مُقَاتِلِينَ

نفسى فداءً للرجالِ المُسْعفين  
المُنحنيين على الرُّكامِ ولم يكونوا مُنَحنيين  
الراكضينَ إلى المنازلِ باحثينَ عن الأنين  
حيثُ الأنينُ علامةُ الأحياءِ، يُصبح نادراً  
حيثُ الحياةُ تصير حقاً لا مجازاً خاتماً في التُّربِ  
تَظهرُ، يُرْهِفونَ السمعَ تحتَ القصفِ  
تُخفى مرةً أُخرى وتَظهرُ  
يَرفعونَ الرِّدَمَ  
لا أحدٌ هنا

تبدو يدٌ أو ما يشابهُها هناك  
ويُخرجونَ الجِسمَ  
رَغمَ تشابهِ الألوانِ  
بينَ الرِّدَمِ والإنسانِ  
كالمعنى من الهديانِ  
تُخرُجُ أُمَّةً مَنسِيَّةً  
يا دَهرُ فلتتَذَكِّرِ المَوْتى  
هُنالِكَ سبعةٌ في الطابقِ الثاني  
ثمانيةٌ بِبابِ الدارِ

أربعة من الأطفال ماتت أمهم وبَقُوا  
لأيام بلا ماء ولا مأوى  
ولا صوت ولا جدوى  
ولا دعوى..... لرب القن والسّلوى  
فقل للموت يا هذا استعِدّ فإنهم والله لن يأتوك أطفالاً  
ولكن كالشيوخ تجارباً وقرارةً  
حضر دفاعك فالقضاء  
مُضَرَّجِينَ بِحُكْمِهِمْ  
قَدِمُوا عَلَيْكَ مُسَائِلِينَ وَغَاضِبِينَ

نفسى، وما نفسى، الفداء لِلسُرةِ  
جَمَعَ الجنودُ رجالَها ونساءَها وصغارَها في عُرفةٍ،  
قالوا لهم: أنتم هنا في قَامنٍ من شَرِّنا، وَمَضُوا  
لِيَأْمَرَ ضَابِطٌ مِنْهُمْ بِقِصْفِ الْبَيْتِ مِنْ بُعْدٍ  
وَيَأْمَرَ بَعْدَهَا جِرافَتَيْنِ بِأَنْ يُسَوّى ما تَبقى بِالتُّرابِ، لعل طفلاً لم  
يَمُتْ فِي الضَّرِيَةِ الْأُولَى  
وَيَأْمَرَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ تَسِيرَ مُجَنِّزَاتُ الْجَيْشِ فِي بُطءٍ عَلَى جُثَثِ  
الْجَمِيعِ  
يُرِيدُ أَنْ يَتَأَكَّدَ الْجُنْدِيُّ أَنَّ الْقَوْمَ مَوْتَى

رُبَمَا قَامُوا، يُحَدِّثُ نَفْسَهُ فِي اللَّيْلِ  
يَرْجِعُ مَرَّةً أُخْرَى لِنَفْسِ الْبَيْتِ، يَقْصِفُهُ،  
وَيُقْنِعُ نَفْسَهُ، مَاتُوا، بِكُلِّ طَرِيقَةٍ مَاتُوا،  
وَيَسْأَلُ نَفْسَهُ لَكِنْ

أَلَمْ أَقْتُلْهُمْ مِنْ قَبْلِ، مِنْ سَتِينَ عَامًا، نَفْسَ هَذَا الْقَتْلِ،  
نَفْسَ مَرَاكِجِ التَّنْفِيدِ،  
لَسْتُ أَظُنُّهُمْ مَاتُوا،

وَيَطْلُبُ طَلْعَةً أُخْرَى مِنَ الطَّيْرَانِ تَنْصُرُهُ عَلَى الْمَوْتِ  
وَيَرْفَعُ شَارَةً لِلنَّصْرِ مُبْتَسِمًا إِلَى الْعَدَسَاتِ  
فُنَسَحَبًا، سَعِيدًا أَنْ طِفْلًا مِنْ أَوْلَئِكَ لَمْ يَقُمْ مِنْ تَحْتِ أَنْقَاضِ  
الْمَبَانِي كَنِي يُكَدِّرُهُ

وَلَكِنْ لَا يَنَامُ اللَّيْلُ، مَا زَالَ احْتِمَالًا قَائِمًا أَنْ يَرْجِعُوا  
فَيُضِيءُ لَيْلَتَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْقَنَابِلِ،  
سَائِلًا قِطْعَ الظَّلَامِ عَنِ الرُّكَامِ وَأَهْلِهِ  
مَاذَا تَرِينَ وَتَسْمَعِينَ؟  
فَتُجِيبُهُ:

لَمْ أَلْقَ إِلَّا قَاتِلًا قَلِيلًا وَقَتْلَى هَادئينَ

نَفْسِي فِدَاءٌ لِلصَّغَارِ النَّائِمِينَ  
بِقَمَرٍ مُسْتَشْفَى عَلَى بَرْدِ الْبَلَاطِ بِلا سَرِيرٍ، خَمْسَةً أَوْ سِتَّةً  
مُتَجَاوِرِينَ

فِي صُوفٍ بَطَانِيَّةٍ فِيهَا الدِّمَاءُ مُكَفَّنِينَ  
قُلْ لِلْعَدُوِّ: أَرَاكَ أَحْمَقَ مَا تَزَالُ  
فَالآنَ فَاوْضُهُمْ عَلَى مَا شِئْتُ  
وَاطْلُبْ مِنْهُمْ وَقِفَ الْقِتَالِ  
يَا قَائِدَ النَّفَرِ الْغَزَاةِ إِلَى الْجَدِيلَةِ  
أَوْ إِلَى الْعَيْنِ الْكَحِيلَةِ، مِنْ سِنِينَ  
أَدْرِي بِأَنَّكَ لَا تَخَافُ الطِّفْلَ حَيًّا  
إِنَّمَا أَدْعُوكَ صِدْقًا،  
أَنْ تَخَافَ مِنَ الصَّغَارِ الْمَيِّتِينَ